الزرقاوي.. الجيل الثاني للقاعدة (4)

امريكا جاءت باساطيلها الى أرض الاسلام بعد أن أفزعها المد الاسلامي المتصاعد ولتنهب ثروات الامة

خطاب الزرقاوي سلفي التوجه.. يتسم بالتحريض ضد الشيعة.. والعداء لاسرائيل والانظمة العربية

فؤاد حسين*

■ الشخصية التي يتناولها هذا الكتاب فرضت أنماطا مختلفة من صنوف التصنيف، تارة أسلوب البحث العلمي المعتمد على القراءة والبحث والتمحيص والتلخيص، وقد أخذ هذا الأسلوب نصيبه في فصول هذا الكتاب، وتارة أخرى الاستماع إلى شهادات العشرات ممن عرفوا الزرقاوي أو رافقوه في مختلف محطات حياته، وهذا أخذ وقتا طويلا بين تدوين تلك الشهادات، ومن ثم تدقيقها، وتمحيصها، ومقارنة الشهادات بعضها ببعض، للوقوف على المعلومة الدقيقة لاستخدامها بعد التحقق من صحتها، وطرح المعلومة الضعيفة واستبعادها، ما لم نستطع التثبت منها، وتارة أخرى الطلب من أشخاص بعينهم أن يكتبوا بأنفسهم إجاباتهم على أسئلة طرحناها عليهم، لكن الشاق في هذا الجانب كان الوصول إلى هؤلاء الأشخاص ممن لهم بصمات واضحة، سواء في تشكيل فكر الزرقاوي أو تشكيل منهجه واستراتيجيته، وكانت هذه المرحلة الأصعب من الكتاب، إذ باتت إمكانية الاتصال مع هؤلاء صعبة للغاية، إن لم تكن شبه مستحيلة، بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، فغالبيتهم إما في السجون أو مطاردون أو مختفون، لكن دون تدوين شهاداتهم، لن يكون للكتاب إضافة معتبرة، فآثرنا تأخير الكتاب شهورا عدة إلى أن وصلنا إلى مبتغانا، وضمنا الكتاب ثلاث شهادات تغطي مراحل تطور مسيرة الزرقاوي.

الشهادة الأولى كانت لأبي المنتصر بالله محمد، وهو الشخص الأول الذي بدأ الزرقاوي معه بناء التنظيم الأول الذي أسسه أبو مصعب عام 1993، وهو تنظيم التوحيد، الذي عُرف لاحقا باسم (بيعة الأمام)، مسجلا بالتواريخ والأسماء والأحداث كل ما تم حتى عام 1999. فآثرنا تلخيص هذه الشهادة دون التدخل في مضمونها، ذلك أن الكثير مما ذكره لم يعد سرا يحمل صفة الجدة، إن لم أقل أنه سبق أن نشر مضمونه بعموميته، لذلك أبقينا على المعلومات التي طرحت للمرة الأولى، وعلى الانطباع الشخصي لصاحب الشهادة وموقفه من تلك الأحداث التي دونها.

الشهادة الثانية كانت للأب الروحي للزرقاوي عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) الذي التقاه في الباكستان عام 1989، واتفق معه هناك على تشكيل تنظيم ديني في الأردن، وبقي معه في السجن، بادئا معه كرفيق درب وصديق، ثم شيخه الذي ينظر لفكرة التنظيم ويضع أدبياتها، ثم كتابع له بعد أن أصبح الزرقاوي أميرا للمجموعة داخل السجن، ثم منتقدا له وناصحا عن بعد، هو في سجنه بالأردن والزرقاوي في العراق.

الشهادة الثالثة، وهي الأهم كانت للرجل الثالث في القاعدة محمد مكاوي (سيف العدل) الذي يلقي من خلال شهادته الضوء على القدوم الثاني للزرقاوي إلى أفغانستان عام 1999، وأسباب الخلاف بين الزرقاوي وبن لادن، وكيف تم إنشاء معسكر خاص للزرقاوي في هيرات، مبينا طبيعة العلاقة التي كانت قائمة في تلك الفترة بين قيادة القاعدة والزرقاوي، وصولا إلى ضربة الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، وأهداف القاعدة من وراء هذه الضربة، موضحا كم تحقق من تلك الأهداف، مرورا باحتلال أفغانستان والخروج إلى باكستان وإيران، كاشفا طبيعة الدور الذي لعبته طهران حينذاك، وبعد ذلك قرار إدخال الزرقاوي إلى العراق والتحضيرات التي سبقت ذلك.

وفي محاولة لاستشراف مستقبل القاعدة في العراق من خلال تطور تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين تتبع الكتاب محطات تطور عمل، وشخصية الزرقاوي، خلال السنوات الثلاث الأخيرة. معتمدين معلومات دقيقة تطلب الوصول إليها استقصاء دقيقا وحثيثا، لكل من كان على تماس مع الزرقاوي خلال تلك السنين.

وللوقوف على مستقبل الحرب المفتوحة بين القاعدة، وواشنطن التي تطلق على حربها تلك مصطلح محاربة الإرهاب الدولي، حاورنا العديد من منظري القاعدة سواء ممن ساهموا في صنع استراتيجياتها في وقت سابق أو من باتوا من صناع قراراتها لاحقا، واستمعنا إلى كل ما يجول بخاطرهم، لنرسم للقراء استراتيجية القاعدة حتى عام 2020، والوسائل التي أتبعوها، والخطط التي وضعوها للوصول إلى تحقيق هذه الاستراتيجية.

الأصول العلمية للدعوة السلفية:

تقوم السلفية على ثلاثة أصول علمية أساسية: هي التوحيد، والاتباع، والتزكية.

فالتوحيد هو عماد الدين، وهو الذي من أجله بعث الله رسله الى العالمين.

وهو يعني عبادة الله وحده لا شريك له، بكل أنواع العبادة التي شرعها، الظاهرة: كالصلاة والصوم والحج، والنذر والذبح، والطواف ومفردات ذلك، والباطنة: كالخوف والرجاء، والحب والتوكل والانابة.. الخ.

وأصول التوحيد في المعتقد السلفي هي:

أولاً: الايمان بصفات الله سبحانه وأسمائه على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى دون تحريف أو تأويل. فالسلفي يؤمن بصفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى؛ كما جاءت في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: افراد الله سبحانه وتعالى وحده بالعبادة. وعندما نقول: افراده بالعبادة؛ فلا نعني الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط، بل نعني كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من معانيها، وعلى رأس ذلك الدعاء. فالدعاء هو العبادة، فلا دعاء لغير الله كائناً من كان؛ رسولاً أو ولياً حقاً أو ولياً مزعوماً.

ويأتي بعد الدعاء: السجود، وأنواع من الحب، والتعظيم، والخشية، والخوف، وكذلك الذبح والنذر، والرغبة.

وكل هذه الأمور من حق الله سبحانه وتعالى، بعض الناس الذين يؤمنون القبور المشيدة للطلب من أصحابها ما لا يجوز أن يطلب الا من الله؛ كشفاء المرضى والانتصار على الأعداء، والشفاعة عند الله، والمدد، واعطاء الأولاد، وخير الدنيا..

ثالثاً: الايمان بأن لله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحد سواه حق التشريع للبشر في شؤون دنياهم.

فالتشريع حق لله جل وعلا؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين والمنهج والطريق والصبغة هو ما شرعه الله فقط.

ويرى السلفيون أن أكثر سلاطين الأرض اليوم وزعمائها قد تجرأوا على هذا الحق، وتجرأوا على الخالق، فأحلوا ما حرم، وحرموا ما أحل، وشرعوا للناس بغير شرعه؛ زاعمين تارة أن تشريعه لا يوافق العصر والزمن، وتارة أنه لا يحقق العدل والمساواة والحرية، وأخرى بأنه لا يحقق العزة والسيادة.

رابعاً: يؤمن المنهج السلفي أن قضايا التوحيد الثلاثة السالفة قضايا لا تتجزأ ولا تقبل المساومة؛ لأنها أركان في فهم العقيدة السليمة وفي معنى لا اله الا الله.

فمن آمن باله واحد؛ يجب أن يعتقد أنه هو الموصوف سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه يجب الايمان به وفق هذه الصفات.

وكذلك يجب دعاؤه سبحانه وتعالى وحده، وافراده بسائر أصناف العبادة؛ من ذبح، ونذر، وخوف، وخشية، وانابة، وتوكل، وحلف، وتعظيم، وتطهير القلب مما يخدش هذا التوحيد أو يلغيه.

وكذلك يجب الايمان والعمل ليكون شرعه هو الأعلى وهو المحكم في حياة الناس جميعها؛ فلا دين الا ما شرع، ولا طاعة الا لله أو ما يقتضي أن تكون طاعة الله؛ أعني: لا طاعة لمخلوق الا بما يوفق طاعته سبحانه، فان خالف طاعته؛ فلا طاعة.

والمنهج السلفي يأخذ هذه القضايا جملة، ويطهر قلوب أتباعه من الشرك فيها جميعاً؛ لأنه وفق معتقدهم أن من مات وهو يدعو غير الله؛ لم يكن من أهل الجنة، وأن بعض التحريف لمعاني الصفات والأسماء؛ شرك بالله وكفر به، وان كان بعضه لا يبلغ ذلك، وأن من حكم بغير ما أنزل الله؛ فهو كافر، ومن اعتقد أن لأحد من البشر أن يشرع للناس في شؤون معاشهم ودنياهم دون الرجوع الى شرع الله والالتزام به والسير بمقتضاه؛ فقد عبد غير الله وأشرك به شركاً جلياً. هذه القضايا الثلاث السالفة هي الأركان التي يقوم عليها الأصل الأول من الأصول العلمية للدعوة السلفية.

انها قضايا التوحيد الثلاثة التي اذا اختل شرط منها؛ اختل أصل التوحيد.

وهذا الأصل هو بمثابة المدخل للمعتقد السلفي؛ لأن التوحيد هو أهم قضايا الدين، بل رأسه، وبدونه لا يكون المسلم مسلماً.

الاتباع: بعد أن يعلم السائر في المنهج السلفي توحيد الله سبحانه وتعالى حسب أركانه السالفة؛ فانه يتوجب عليه افراد الرسول صلى الله عليه وسلم بالاتباع، فلا تشريع الا بما جاء به، ولا دين الا ما قرره وأقره، وذلك تحقيقاً لقوله: «أشهد أن محمداً رسول الله».

وهذه الشهادة لا تكون كاملة الا بالأمور الآتية:

أولا: أن يعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول مبلغ عن ربه جل وعلا، وأنه قد جاء بوحيين: الأول كتاب الله القرآن. الثاني: سنته صلى الله عليه وسلم.

فكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل كلام الله تعالى؛ سواء في الاعتقاد والعمل والقبول؛ لأن هذا وهذا من الله سبحانه وتعالى، والرسول لا يأمر ولا ينهى ولا يحرم ولا يحل في أمور الدين بشيء من عند نفسه، بل بأمر الله سبحانه وتعالى، ولا يخبر بشيء من الغيب الا بوحي منه جل وعلا.

ثانياً: الدين هو المنهج والطريق والحكم والصبغة العامة، وليس هو التقرب فقط؛ كالمفهوم الشائع بين الناس اليوم.

ومعنى هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المشرع بأمر الله لجميع شؤون الحياة التي له فيها أمر ونهي وحكم، وليس للطاعات والقربات فقط؛ فمعصية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في شؤون البيع والتجارة والزواج والطلاق والحكم والسياسة والحدود؛ كمعصيته في شؤون العبادة؛ كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها.

ثالثاً: للامرين السابقين تصبح منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعة المطلقة لا تدانيها منزلة لأحد من البشر. ولذلك، فلا يقبل قول أحد؛ سواء كان: اماماً فقيهاً، أو زعيماً سياسياً، أو مفكراً أو مصلحاً؛ يخالف قولاً للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن قدم قولاً لأحد على قول الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أساء وتعدى وظلم وخالف اجماع الأمة وكتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

التزكية وهي عند السلفيين اصلاح النفس وفق المنهج الرباني ولا يكون ذلك الا بأداء الفرائض، ثم الاكثار من النوافل والتزام طاعة الله ورسوله في ذلك، فلا عبادة الا بما شرع الله، ولا تقرب الا بما رسم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالتزكية احدى المهمات التي من أجلها بعث الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هي غاية الرسالات وثمرتها. فالله امتن علينا في هاتين الآيتين ببعثه النبي صلى الله عليه وسلم الذي من مهماته قراءة آيات الله، وهذه نعمة كبرى؛ اذ نسمع كلام الله على لسان بشر منا، ثم انه يزكي هذه الأمة؛ بما يقرأ عليها، وبما يوحى اليه. ثم هو يخرج هذه الأمة من ظلمات الجهالة، وذلك بتعليم الكتاب: وهو القرآن، والحكمة وهي: العلم النافع.

أهداف الدعوة السلفية

ليست الدعوة السلفية ـ وفق فهمهم ـ دعوة الى شعبة من شعب الايمان، ولا لقضية واحدة من قضايا الاسلام، وليست هي دعوة اصلاحية اجتماعية، ولا دعوة سياسية حزبية، وانما هي دعوة الاسلام.. الاسلام بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني العزة والسيادة والاصلاح والعدل والفلاح في الدنيا والآخرة. والاسلام عندهم دين الله للعالمين؛ فليس هو دين وطن بعينه، ولا شعب بالذات، وانما هو دين الأرض كلها والناس جميعا. ولذلك؛ فالدعوة السلفية عندهم ليست دعوة وطن بعينه، ولا شعب بعينه، وانما هي المنهج المنضبط لفهم الاسلام والعمل به.

اذا، أهداف الدعوة السلفية هي أهداف دعوة الاسلام، وذلك أنها ليست حزباً دينياً بمفهوم العصر، ولا حزباً سياسياً.. انها منهج ودعوة وطريق لفهم الاسلام والعمل به. وعليه فان أهداف الدعوة السلفية تتلخص بما يلي:

أولا ايجاد المسلم الحقيقي، فصناعة الرجال ـ عندهم ـ هي مهمة الدعوة الاسلامية.. الرجال بمفهوم الرجولة الكامل..والانسان بمفهوم الانسان الكامل.. والمرأة المسلمة بالمفهوم الصحيح أيضا..

والمسلم الحق والمسلمة الحق يشترط فيهما هذه الشروط، وهي: التوحيد، والامتثال، والتزكية. بعيدا عن الشرك والتعصب والخرافة والجهل.

والمهمة الأولى للدعوة السلفية هي مهمة التعليم والتربية والصناعة بعد التعريف والبيان بالمفهوم الحقيقي للاسلام.

الهدف الثاني للدعوة السلفية هو توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة. ومنهج تشريعي واحد وذلك حتى يسهل اقامة الأمة الواحدة التي تنضوي تحت علم واحد وامام واحد. تكون كلمة الله فيه هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. وايجاد المجتمع المسلم الذي يقوم بتآلف تلك اللبنات التي ربيت على أساس الاسلام عقيدة ومنهجاً. من خلال تنقية المجتمع الاسلامي من الشرك والبدع والخرافات والخلاعة والمجون، وذلك بايجاد البيئة المناسبة لتربية أجيال المسلمين.

ثالثا اقامة الحجة لله. يرى السلفيون أن من أهداف بعثة الرسل أن ينذروا الكافرين والمعاندين حتى لا يكون لهم عذر عند الله يوم القيامة؛ وأتباع الرسل يقومون بهذه المهمة بعد أن التحق الرسل بربهم، وهي أن يبشروا الناس وينذروهم حتى لا يكون للمعاندين منهم حجة أمام الله يوم القيامة، فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم خلفاؤه في مهماته ـ الا النبوة والرسالة ـ؛ فجهاد الكافرين، وتنفيذ أحكام الله، والدعوة اليه، والتبشير، والانذار؛ كل هذه من مهمات الرسل وأعمالهم، وهي واجبة أيضاً في حق أتباعهم والسائرين على مناهجهم.

والمدعو اما أن يستجيب للدعوة، فيهتدي، فيتحقق بذلك الهدف الأول من أهداف الدعوة، وهو بذلك الهدف الثالث للدعوة، وهو ما نحن بصدده الآن؛ أي: تقوم عليه الحجة، وينقطع عذره عند الله تبارك وتعالى.

ولذلك؛ فالمنهج السلفي يرى أن كل هذه الفرعيات تلتقي مع الأصل الأصيل، وهو ابراز الاسلام دائماً في صورته الكاملة النقية على مدار العصور، وذلك لتبقى شخصية المسلمين واضحة جلية مميزة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

والدعوة السلفية تسعى فيما تسعى اليه الى اصلاح السياسة والحكم، ولكنها تعتقد أنه جزئية تنزل منزلته من أوامر الدين من حيث الأهمية والأولوية، ويسعى اليه بالقدر السليم الصحيح الذي يتناسب مع القائمين بالدعوة وجهودهم، وهي تدعو الله لكل سلطان صالح يريد الخير للناس، وتدعو جميع السلاطين القائمين الى تحكيم شرع الله في أنفسهم وما خولهم الله اياه. من أجل تخليص العالم الاسلامي من أعداء الاسلام الذين غزوا دياره، ومزقوا شمله، وفرقوا أوطانه لتقوم للمسلمين أمتهم ودولتهم العزيزة.

ولذلك كان المنطلق السلفي في اخلاص الدين لله أولاً، وتحقيق التوحيد، ثم انزال جميع تكاليف الاسلام منازلها بعد ذلك؛ من اصلاح الحكم والسياسة والقضاء، واقامة الحدود، وتطهير المجتمعات من الفساد، وتربية الرجال والنساء على الدين الحق من عبادات ومعاملات وأخلاق.

أفكار الزرقاوي ومدى تطابقها مع السلفية كما في رسائله وخطبه:

كتب الزرقاوي العديد من الرسائل والخطب بين عامي 1994 و2005، كان أولها مرافعته التي قدمها أمام محكمة أمن الدولة في الأردن عام 1994، وهي الوحيدة التي صدرت عنه في الأردن، في حين أن بقية رسائله وخطبه، كلها صدرت عنه من العراق، ولا توجد له أية خطب أو رسائل صدرت عنه أثناء تواجده في أفغانستان. بعد مرافعته بالمحكمة بسبع سنوات ألقى خطبة أسماها (إلحق بالقافلة)، وكان ذلك عام 2003، وهي أول شيء يصدر عنه من العراق، توالت بعدها خطاباته ورسائله.

وللوقوف على عقيدة الزرقاوي من خلال خطبه ورسائله انتقينا ستا منها: رسالتان خطيتان وأربع خطب تغطي كامل الفترة الزمنية، وتتضمن تنوعا في المضمون يسمح بالقاء الضوء على طريقة تفكيره وعقيدته من خلالها. والخط البياني لتطور أفكاره واهتماماته.

وتحليل أدبيات الزرقاوي الخطية والخطب الصوتية، هي محاولة لفهم طبيعة خطابه الاسلامي والسياسي، ومن ثم محاولة الوصول الى عقيدته التي يبني مواقفه وفقا لها، يتبين أن ثمة قواسم مشتركة بين جميع رسائله وخطبه، تضيء بشكل ساطع أهدافه واستراتيجيته عقائديا وسياسيا وعسكريا، وفيما يلي أبرز ملامحها:

أولا. استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأراء علماء الدين:

لا تخلو رسالة من رسائل الزرقاوي أو خطاب من خطاباته، من عدد كبير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، التي عادة ما يستشهد بها لاثبات صحة نهجه وصواب توجهاته وأفكاره، مكرسا مجموعته تنظيما دينيا يسترشد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهو يكثر من استخدامها مع كل فكرة أو عبارة أو رأي يحاول ايصاله الى من يستهدفهم في تلك الرسائل والخطب، محاولة منه في الاقناع والتأثير على المتلقي باعتباره ينطلق من القرآن والسنة النبوية في تبرير كل ما يقوم به، هذا فضلا عن كونه رجلا اسلاميا لا يختلف عن الكثير من أقرانه أو من سبقه في استخدام الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لاسناد آرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم، لذا كانت جميع رسائله وخطبه غزيرة متدفقة ومسندة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم وكبار علماء الدين، ممن يعتقد أنهم أكثر أهلية ودراية بما يرضي الله في مختلف الأزمان والعصور.

كثرة الاستشهاد بالنصوص الدينية، أراد منه الزرقاوي الوصول الى حتمية قيام الدولة الاسلامية أو الخلافة الاسلامية، فمن خلال وصايا الزرقاوي الى المجاهدين يتضح لنا أنه يؤمن أن قيامها وعد الهي مؤكد، وبحث أتباعه على عدم الاكتراث بما يقوله المنافقون وقطاع الطريق الى الله بأنه لا يمكن لهم تحقيق شيء مما يريدون، وأن الخلافة الاسلامية أو حتى الدولة الاسلامية لا يمكن أن تقوم. لأن ذلك الأمر قد يكون أقرب الى الخيال. فهو يذكرهم بقوله تعالى: «اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض عز هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم». ويقول لأتباعه أن الله سيفتح على المسلمين روما كما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح. وأنه يرجو من الله نصراً أبعد من ذلك بمقولة «اننا نرجو من الله أن يفتح البيت الأبيض والكرملين ولندن» ومعنا وعد الله «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم».

بيد أن الزرقاوي لا يرى امكانية لتحديد موعد اقامة الخلافة أو الدولة الاسلامية، لأنها ليست مهمته، وانما مهمته العمل للدين والذود عن الشريعة وبذل أقصى الجهد، أما النتائج فهي الى الله عز وجل ـ كما يقول ـ اذ يؤكد أن المسلم باع نفسه لله عز وجل وليس أمامه الا (خيار واحد هو تسليم البيع لمن اشتراه .. واذا استلم المشتري البيع فليصنع به ما يشاء، وليضعه حيث يشاء، فان شاء وضعه في سجن، وان شاء البسه أحسن الثياب وان شاء جعله عاريا الا ما يستر به عورته، وان شاء جعله غنيا، وان شاء جعله فقيرا معوزا، وان شاء علقه على عود مشنقة أو سلط عليه عدوه فقتله أو مثل به).

الدولة الاسلامية التي يبشر بها الزرقاوي تستمد تشريعاتها من كتاب الله، فالزرقاوي لا يعترف بغير الله مشرعا سواء كان هذا المشرع عالما أو حاكما أو نائبا برلمانيا أو شيخ عشيرة، ويعتبر كل من يعمل بغير شرع الله ويعمل وفق القوانين المدنية شرك بالله، (كما ورد في افادته خلال محاكمته)، ويستدل الزرقاوي على قرب قيام الدولة الاسلامية، استشعار الأعداء بذلك كما يشير الزرقاوي في رسالته الى أمته أن الولايات المتحدة الأمريكية جاءت بأساطيلها الى أرض الاسلام بعد أن أفزعها المد الاسلامي المتصاعد والذي يدعو الى الجهاد من أجل اعلاء كلمة الاسلام.

ثانيا. دعواته للتوحيد والتمسك بقيم الدين الاسلامي:

ولأن الزرقاوي يؤمن بحتمية قيام الدولة الاسلامية، فالعنصر الأساس لذلك عقديا هو مبدأ التوحيد، اذ يؤكد الزرقاوي في جميع خطبه ورسائله على أهمية التوحيد والتمسك بقيم الدين الاسلامي، باعتبارها العروة الوثقى وطوق النجاة لكل انسان.

والتوحيد كما يؤكد الزرقاوي في جميع رسائله وخطبه ليس أداء فرائض الاسلام من صلاة وصوم وزكاة فحسب، بل عدم الاعتراف والوثوق بكل ما هو دون الخالق من حكام ومسؤولين وولاة، فكل أولئك ـ كما يقول الزرقاوي ـ ليسوا أكثر من طواغيت، يحضون الانسان على كل ما هو مخالف للشرائع الاسلامية، ويحرضون الناس على مجانبة الحق واعلاء شأن الظلم والباطل والفجور، ومن هذا المنطلق فان التوحيد ـ عنده ـ يجب أن يقوم أولا على قول الحق في (طواغيت الأمة) وسلاطينها وحكامها مهما كان الثمن، وأيا كانت النتيجة، طالما أنه سيرضي الله في نهاية الأمر. وعلى هذا الأساس فالزرقاوي لا يعترف بمجمل القوانين والدساتير المدنية التي تضعها الحكومات، ويرى في الشرع الاسلامي مثالا لا بديل له، في معالجة كل ما في هذه الدنيا،

ثالثا: الدعوات التحريضية:

تحقيق قيام الدولة الاسلامية، يحتاج الى عمل دؤوب ـ وفق قناعات الزرقاوي ـ لذلك تضمنت جميع خطب ورسائل الزرقاوي دعوات تحريضية صريحة وواضحة، موجهة لاتباعه على وجه التحديد، وللأمة الاسلامية بشكل عام، لتأخذ دورها الثوري في رسم ملامح المرحلة الحالية، التي تواجه فيها الأمة الاسلامية تحديات جساما، من قبل الولايات المتحدة الامريكية والكيان الصهيوني، أو كما يسميهم في بعض رسائله أعداء الاسلام، فهو يعتقد أن المواجهة القائمة بين الغرب والاسلام لها أهداف كبيرة يسعى العدو الى تحقيقها، بعد أن أفزعه المد الاسلامي المتصاعد والذي يدعو الى الجهاد من أجل اعلاء كلمة الاسلام، كما أنها (جاءت تحمل ارثا من الحقد الدفين والعداوة التاريخية والتعصب الديني الذي تغذيه النبوءات التوراتية على المسلمين).

لا تقتصر الدعوات التحريضية للزرقاوي على أعداء الأمة والاسلام، وانما تشمل الحكومات العربية والأنظمة التي يرى أنها لم تكن أكثر من أداة طيعة للغرب، وبعضها كان مناصرا وموواليا لليهود والنصارى وأعانها على اغتصاب مقدسات المسلمين وأراضيهم.

شملت دعوات الزرقاوي التحريضية الشيعة في العراق، وهدد في أكثر من مرة أنه لن يكف عن الشيعة حتى يرفعوا أيديهم عن المساجد ويقبضوا أيديهم عن دماء أهل السنة، فالزرقاوي لا يعترف بأن الشيعة هم طائفة من طوائف الاسلام المتعددة، بل يعتبر التشيع دينا لا علاقة له بالاسلام أبدا، هذه القناعة، ترجمها الزرقاوي أيضا الى فعل على أرض الواقع، حيث تبنى عملية اغتيال محمد باقر الحكيم زعيم المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق بتفجير سيارة اسعاف مفخخة قادها والد زوجته الثانية الشيخ ياسين، قرب مرقد الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النجف. كما تبنى الزرقاوي عمليات أخرى ضد الشيعة في كربلاء وبغداد.

رابعا: دعوته للجهاد

التحريض حالة تعبوية، أعقبها الزرقاوي بخطوة عملية، وهي الدعوة الى الجهاد. ففي وصاياه الى المجاهدين كشف الزرقاوي من تحريض اتباعه على الجهاد حتى الشهادة من أجل الاسلام، لأنه خير الدنيا والآخرة، وفي تركه خسارة للدنيا والآخرة، ويشير الى قوله تعالى: «قل هل تتربصون بنا الا احدى الحسنيين»، يعني اما النصر أو الشهادة، فمن عاش من المجاهدين كان كريما له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ومن مات أو قتل فالى الجنة. ويذكر الزرقاوي بقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «يعطى الشهيد ست خصال: يغفر له بأول قطرة من دمه، ويرى مقعده في الجنة، ويكسى حلة من الايمان، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويوقى فتنة القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر». وقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ان في الجنة لمئة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»، فهذا ارتفاع خمسين ألف سنة في الجنة لأهل الجهاد.

ومن هنا فانه يعتبر نفسه وأتباعه محظوظين لأن الله أكرمهم قتال الكفار في أرض العراق، ومنحهم فرصة الدفاع عن الاسلام، ورد كيد الأعداء، لأن الدين لا يقوم الا على أولي العزم من الرجال ولا يقوم أبدا على أكتاف المترخصين والمترفين ـ كما يقول ـ لأن الدين العظيم لا يقوم الا على أكتاف العظام من الرجال.

خامسا: ايمانه بحتمية النصر

يبشر الزرقاوي في وصاياه الى المجاهدين أن النصر قادم للمسلمين ويقول أن تلك «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا»، ويستدرك الزرقاوي قائلا: الا أن نصر الله قد يتأخر الى أمد غير معلوم وترافقه هزائم وجراحات في صفوف المسلمين، وبذلك يرى أن الخسائر التي يقدمها المجاهدون طبيعية ولا بد منها لتحقيق النصر مهما كان الثمن غاليا. وأنه لا بد من الصبر عند الشدائد لأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا، وهو متيقن ـ كما يقول ـ من النصر في النهاية لأن الله منجز وعده، وناصر جنده ولو بعد حين.

ويرى الزرقاوي أن النصر لن يتحقق ما لم يقترن بالايمان والاخلاص والعمل الصالح «وعد الله لا يخلف الله الميعاد». لذا لا بد على المسلمين أن يؤمنوا بارادة الله وامتحانه لعباده وأن لا يظنوا به السوء، وأن لا ينظروا الى عدد العدو وعدتهم وينسوا وعد الله مستشهدا ببعض الآيات القرآنية ومنها: «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون»،

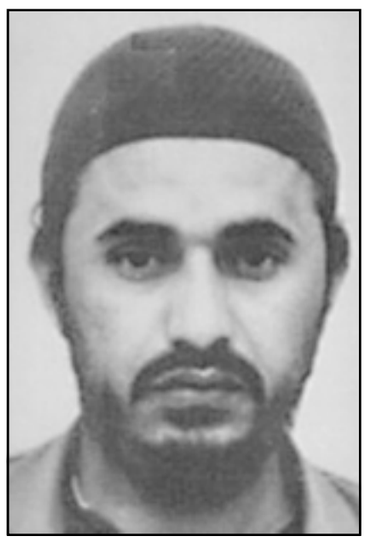

ابو مصعب الزرقاوي

«وكان حقا علينا نصر المؤمنين»، «وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا».

سادسا: انتقاده لعلماء الدين

يأخذ الزرقاوي على الكثير من علماء الدين تخاذلهم أو تخليهم عن دورهم القيادي في الاسلام الذي يحتم عليهم تحريض المسلمين على محاربة الكفار، وتنويرهم بما يحيط بهم من مخاطر تحتم على الجميع حمل راية الجهاد في سبيل الله، والجهاد ضد أعداء الله. ويقول أن العلماء تركوا الميدان وانسحبوا من قيادة الركب وشق عليهم أن يبذلوا المهج من أجل الله. بل أن العلماء لم يكتفوا بذلك ـ كما يرى الزرقاوي ـ بل قاموا برمي المجاهدين بكل نقيصة، ولا تسمع صوتهم الا في مناوئة المجاهدين تحت ذرائع عديدة كالسياسة والكياسة، وذلك هو (فقه الهزيمة) ويشير الزرقاوي الى أن علماء الأمة «ارتضعوا لبان الهوان من ثدي أمهاتهم فسرى في أعماقهم، فأنى لهم أن يغيروا أو يبدلوا» الا أنهم يغطون هذه الحقيقة برداء الفقه ويقدمونها موشاة بلباس الحكمة.

ويستهجن الزرقاوي موقف بعض علماء الدين الذين استنكروا عملية ذبح الرهينة الأمريكي (بيرغ) ـ التي نفذها الزرقاوي بيده ـ بدعوى أنها عملية تشوه صورة الاسلام في الغرب، ويقول أن بعض الوسطاء سعوا «الى استنقاذ هذا العلج وبذلوا لنا ما شئنا من الأموال ـ مع حاجتنا الماسة الى المال نضخه في عجلة الجهاد، ولكننا آثرنا أن نثأر لاخواننا وأن ننتقم لأمتنا». ويرى أن عملية الذبح ما هي الا احياء للأمر العتيق والتزام بسنن الراشدين، ويشير الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وهو الرحيم الشفوق: «لقد جئتكم بالذبح» فوجلت منها قلوب العتاة القساة من ملأ قريش فهابوه وخافوه وأقبلوا يسترضونه ويستعطفونه، وقد كانوا قبل ذلك يسخرون منه ويهزؤون. ومن هنا يمكن القول أن الزرقاوي يخالف جميع الآراء المناقضة لقناعاته حتى وان أعلنها أغلبية علماء الدين في العالم الاسلامي، طالما أنهم لم يحركوا ساكنا تجاه ما حل ببلاد الاسلام في العراق وفلسطين وأفغانستان واندونيسيا والشيشان وغيرهم، ولم ينتهجوا طريقا غير البكاء والنحيب والمظاهرات السلمية، والشجب والتنديد.

سابعا: موقفه العدائي من الحكومات والأنظمة العربية والاسلامية

يحدد الزرقاوي في رسائله وخطبه الأعداء المستهدفين في الجهاد، مقدما بعض الأعداء على بعض وفق أولويات تمليها عليه الظروف الموضوعية والذاتية، وفي المقدمة من هذه القائمة من الأعداء الأنظمة الحاكمة. يستند أبو مصعب الزرقاوي في معاداته للأنظمة والحكومات العربية والاسلامية لعدد من الحيثيات؛ أبرزها، ابتعادها عن تطبيق شرع الله وتسليم أمرها ومصيرها الى قوى الكفر، لا لشيء الا لأنها تؤثر دينها على أخرتها. ففي الوقت الذي هاجم الزرقاوي حكومة بلاده في الأردن لأنها «تقتل الناس باسم الديمقراطية وتبيح الخمرة والزنا والفساد باسم الديمقراطية وتعتبر كلاً من يصرح بكلمة الحق معاديا للدولة»، هاجم الزرقاوي (في خطبته المعنونة الموقف من حكومة كرزاي العراق) حكومة أياد علاوي المؤقتة في العراق، التي شكلتها قوات الاحتلال لأن تلك الحكومة ـ حسبما قال ـ جاءت لأجل أن توهم العالم والناخب الأمريكي على وجه التحديد، بنجاح التجربة في العراق، من خلال تمكن سلطات الاحتلال من تشكيل حكومة عراقية ممثلة للشعب العراقي، تعمل على اعادة فرض النظام واعادة الأعمار والتهيئة لانتخابات حرة ديمقراطية في العراق مطلع عام 2005.

ولأن حكومة علاوي أو حكومة (كرزاي العراق) كما أسماها الزرقاوي ـ في اشارة الى التشابه بينها وبين حكومة حامد كرزاي التي شكلتها قوات الاحتلال في أفغانستان ـ ليست سوى أداة بيد المحتل لاستلاب الأمة ونهب ثرواتها. فانه لا يفرق بينها وبين المحتل بقوله «لن نفرق بعد الآن بين أجنبي كافر أو مرتد عربي حتى تعود الخلافة الى الأرض أو نموت دون ذلك».

ويتوعد الزرقاوي رئيس الوزراء العراقي أياد علاوي بالموت، وأنه سيُسقى من ذات الكأس التي سقّى منها عز الدين سليم رئيس مجلس الحكم الانتقالي العراقي، الذي سبق أن اغتاله أتباع الزرقاوي، عندما استهدفوا موكبه عند مدخل المنطقة الخضراء بسيارة مفخخة.

ثامنا: عداؤه للشيعة

أما عداؤه لأمريكا واسرائيل فلا يتردد الزرقاوي في اعلانه، باعتبارهما تمثلان قوى الكفر والطغيان التي تصارع الحق. وأنه لا يخاف من كثرتها ولا عظم أسلحتها ولا تحزب قوى الشر واجتماعها على المسلمين، بقدر خشيته على المسلمين من أنفسهم بعد أن يصيبهم الوهن والضعف والفشل وكثرة المعاصي.

في خطبته حول الموقف من حكومة (كرزاي العراق) يشير الزرقاوي الى أن الولايات المتحدة الامريكية نصبت حكومة عميلة لها لتنهب ثروات الأمة، وتستلب خيراتها على أيدي المنافقين، لأن التجربة أثبتت لهم أن الاستعمار غير المباشر هو السلاح الأجدى م